مقاصد سورة المزمل وشيء من فوائدها

إعداد

أكرم غازي الحسين العمر

الدكتور المتولي علي الشحات

الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن

جامعة المدينة العالمية

ملخص البحث

يتناول البحث دراسة لسورة المزمل؛ من حيث مفهومها، ومعرفة المعنى الحقيقي لها، وما هي صفاتها ومبادئها؟ تعتبر هذه الدراسة مهمة نظرًا لحاجة الأمة الإسلامية لمثل هذه الدراسات؛ لتأثيرها على نهضة الأمة، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع أو العلاقات بين المجتمعات المختلفة بجميع مكوناتها، واتبعت في بحثي المنهج (الوصفي)، وهو ما يناسب هذا البحث، واشتمل البحث على مقدمة وفصلين؛ فالمقدمة اشتملت على مشكلة البحث، وأسئلة البحث، وأهداف البحث، وأهمية البحث، ومصطلحات البحث والدراسات السابقة مع المقارنة، ومنهج البحث وحدوده، والإجراءات والأدوات للبحث، ثم الفصل الأول يحتوي على التعريف بالسورة؛ من حيث ترتيبها في المصحف وعدد آياتها وأسباب نزولها. أما الفصل الثاني فيحتوي على مقاصد السورة وشيء من فوائدها، وقد توصلت في هذا البحث إلى فضل اتباع النبي ﷺ، والمداومة على العبادات والإكثار من النوافل من قيام الليل، وتلاوة القرآن الكريم وتدبر معانيه، والمداومة على ذكر الله عز وجل، والمداومة على الاستغفار، والتيقن بسعة رحمة الله عز وجل بعباده.

الكلمات الدلالية: المقاصد، المزمل، الفوائد.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا؛ مَن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي مُحَمَّد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة(١).

فالقرآن الكريم: هو البرهان والحجة والآية والمعجزة، لا تمل منه النفوس، ولا تنقضي عجائبه، ولم تعرف الإنسانية في تاريخها كتابًا يدانيه أو يقاربه؛ فهو كتاب كل زمان ومكان وكتاب الأحكام والمقاصد، التي جاءت مع كل سورة من سوره، حيث إن كل سورة تبرز لنا مقصدًا وهدفًا تدور حوله وتؤكد عليه، فكلما ازداد المؤمن علمًا بهذا القرآن ازداد إيمانًا به.

فهذا البحث المتواضع يحدد- إن شاء الله- مقاصد سورة المزمل، وبعض الأحكام والإرشادات التي دلَّت عليها؛ من حيث مفهومها، ومعرفة المعنى الحقيقي لها.

مشكلة البحث:

يعالج هذا البحث مقاصد الشريعة الإسلامية التي تناولتها سورة المزمل؛ حيث إن هذه

(١) خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يَستفتح بها؛ رواها ابن ماجه في كتاب (النكاح)، باب (خطبة النكاح)، (٣/ ٣٣٧)، ٣٣٧)، حديث رقم (١٨٩٣)، وصححه الألباني.

المقاصد لم تُبحث في بحث مستقل، ولم يتعرض لها أحد من قبل، ومن هذه المقاصد بعض الأمور التي ترشد الإنسان المسلم وتحضه على التوكل على الله عز وجل والصبر على ما يلاقي في الدعوة إلى الله، وكيف يكون الصبر الجميل؟ وكل ذلك من خلال تدبر القرآن الكريم الذي غفل عنه كثير من المسلمين إلا ما رحم ربك عند تلاوته، ثم معالجة تقوية الإنسان عزيمته على فعل الطاعات من نوافل العبادات، وذلك من خلال تذكر فضل الله عز وجل وما عنده في الآخرة من نعيم مقيم، وكل ذلك أعدَّه لعباده الصالحين الذين قَدَّموا الآخرة على الدنيا الزائلة.

أسئلة البحث/ فروض البحث:

- ما هي المقاصد التي تضمنتها سورة المزمل، وأثر ذلك على المسلمين؟
- ما هي فضائل قيام الليل؟
- كيفية تقرير مبدأ التوكل على الله من خلال السورة؟
- كيفية تقرير مبدأ الصبر في الدعوة إلى الله؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى عدة أمور، ومنها:

- بيان لأهمية أهداف ومقاصد السورة وتحليلها.
- استخراج بعض المسائل والأحكام المستفادة والمستنبطة من السورة.
- جمع الفوائد والمعلومات التي جاءت بالسورة من أمهات كتب التفسير.
- الحض على الصبر في دعوة الناس للدين الحق.
- غرس مخافة الله عز وجل ومراقبته في جميع الأحوال، والقيام بما أمر به من الواجبات، والإكثار من النوافل والاستغفار، وذلك لتدارك الخطأ الذي يطرأ على العبد خلال الليل والنهار.

وإنني لأسعى من خلال هذا العمل والبحث المتواضع أن يَمن الله عليَّ بالفتح من عنده

لأنفع أمتي ما استطعت؛ لنصل إلى ما وصل إليه سلفنا الصالح من مكارم الأخلاق الذي أساسه ومنبعه هو إيمانهم بالله عز وجل، وطاعتهم لرسوله ﷺ، فذلك هو الطريق الموصل بإذن الله تعالى إلى رضوانه وجناته؛ أسأل الله أن يجعلنا من أهلها بفضله ومَنِّه وكرمه.

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من تعلقه بكتاب الله العظيم، ومن شدة الحاجة في هذا العصر لفهم عميق لكتاب الله عز وجل؛ يقول الشاطبي رحمه الله: "فإن المقاصد أرواح الأعمال؛ فقد صار العمل ذا روح على الجملة، وإذا كان كذلك اعتبر بخلاف ما إذا خالف القصد ووافق العمل، أو خالفا معًا، فإنه جسد بلا روح"(١)، ولهذا الفقه بلا مقاصد فقه بلا روح، والفقيه بلا مقاصد فقيه بلا روح إن لم نقل إنه ليس بفقيه، والمتدين بلا مقاصد متدين بلا روح، والدعاة إلى الإسلام بلا مقاصد دعاة بلا أرواح، ومن هنا تبرز حاجة المجتهد والمسلم العادي إلى معرفة مقاصد الشريعة، فبالنسبة للفقيه المجتهد يكفي أن نشير إلى أن الفقه حتى في أصله اللغوي لا يتحقق إلا بمعرفة حقائق الأشياء والنفوذ إلى دقائقها وأسرارها، وبالتالي فليس الفقه حقيقة سوى العلم بمقاصد التشريع وأسراره.

وقال أيضًا: "كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة، بل التفقه في المعبر عنه، وما المراد به هذا لا يرتاب فيه عاقل"(٢)، كما يعلم من أن المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات، فلا محيص للمتفهم عن التعلق بأول الكلام وآخره؛ ليحصل له المقصود منه، فإن فرق النظر لم يتوصل إلى المراد أن مقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه فهو أصل في فهم معاني كلام الله تعالى؛ ولهذا فإن معاني السورة لا تتحقق إلا بعد استيفائها جميعها بالنظر واستخراج مقصدها، وأن معرفة مقصد السورة الذي تنتظم به معانيها وآياتها سبيل للسلامة من الخطأ وتفسير كلام الله على غير مراده، ومن شدة الحاجة

(١) الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، **الموافقات**، (٣/ ٤٤)، ط١، تحقيق: مشهور حسن سلمان، الدمام، السعودية، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ.

(٢) المصدر السابق (٤/ ٢٦٢).

في هذا العصر لفهم عميق لكتاب الله عز وجل، فابتعادنا عن اللغة العربية واختلاط الأمم والشعوب ببعضها، وانفتاح الدنيا على مصراعيها- أضعف بشكل كبير فهمنا لمقصود القرآن الكريم الذي كان يفهمه أوائل هذه الأمة من أول وهلة، ويقول البقاعي رحمه الله- مؤكدًا في كتابه «مصاعد النظر في مقاصد السور»-: "وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا بما في سليقتهم من الأفانين العربية، ودقيق منهاج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية، ثم تناقص العلم حتى انعجم على الناس، وصار حدُّ الغرابة كغيره من الفنون"(١).

مصطلحات البحث

- **التعريف بعلم المقاصد:**

تعد دراسة مقاصد الشريعة الإسلامية من الأمور المهمة، وخاصة للمتخصص بدراسات الشريعة الإسلامية، حيث إن علم مقاصد الشريعة الإسلامية لا يقف عند جزيئات الشريعة ومرادها وحدها، بل ينفذ منها إلى كلياتها وأهدافها في كل جوانب الحياة، فهو يبرز الغاية بالمقاصد، والغاية التي خلقنا الله من أجلها وتحقيقها، وهي توحيد الله وعبادته؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، والناظر في دراسة مقاصد الشريعة الإسلامية يجد أن العلماء المسلمين قد استنبطوا هذا العلم، وضبطوه عبر مراحل تاريخية ممتدة من عصر النبي ﷺ حتى عصرنا هذا.

- **تعريف المقاصد لغة:**

القصد: استقامة الطريق، قصد يقصد قصدًا، فهو قاصد، وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النحل:٩]، أي: على الله بيان الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، ومنها جائر، أي: ومنها طريق غير قاصد،

(١) البقاعي: إبراهيم بن عمر حسن الرباط البقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور** (١/ ١٥٣)، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ١٤٠٨هـ.

وطريق قاصد سهل مستقيم، وسفر قاصد: سهل قريب، وفي التنزيل العزيز: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ ﴾ [التوبة:٤٢]، قال ابن عرفة: "سفرًا قاصدًا، أي: غير شاق، والقصد: العدل، والقصد في المعيشة: ألا تُسرف ولا تقتر الاعتماد والاعتزام وطلب الشيء وإثباته: تقول: قصدت الشيء، وله وإليه قصدًا"(١).

- **تعريف المقاصد اصطلاحًا:**

لم يكن لها مصطلح خاص بها عند قدماء الأصوليين، ولكن عبروا عنها بألفاظ مثل: الأمور بمقاصدها، مراد الشارع، أسرار الشريعة، الاستصلاح، رفع الحرج والضيق، العلل الجزئية للأحكام الفقهية... إلخ؛ لذلك لم يرد تعريف للمقاصد الشرعية عند المتقدمين، لكن تنوعت عبارات المتأخرين في تعريف المقاصد، ثم جاءت تعريفات متقاربة عند الفقهاء المعاصرين بداية من الشاطبي حتى الآن، ومن أهم هذه التعريفات ومن أجمعها ما عرفت به بأنها: "الغايات التي وُضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"(٢).

وقيل: "هي المعاني والأهداف الملحوظة في جميع أحكامه أو معظمها، أو هي الغاية من الشَّريعة والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامه"(٣).

وقد حاول كثير من الباحثين اختيار أحسن تعريف للمقاصد اصطلاحيًّا، وفيما يلي بعض إشارات العلماء القدامى- فيما يتعلق بالمقاصد- التي أثرت على تعريفات المعاصرين:

١- يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله: "أمَّا المصلحة فهي عبارة في الأصل عن جلب منفعة ودفع مضرة، ولسنا نعني به ذلك، فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكن نعني بالمصلحة: المحافظة على مقصود الشارع،

(١) ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم الإفريقي، **لسان العرب**، مادة (قصد)، كلمة القصد (٣/ ٣٥٣)، ط١، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ.

(٢) أحمد الريسوني، **نظرية المقاصد عند الشاطبي**، (ص٧)، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت.

(١) وهبة الزحيلي، **الأصول العامة لوحدة الدين**، (ص٦١) د. ط، د. م، د. ن، د. ت، نسخة المكتبة الشاملة.

ومقصود الشارع من الخلق خمسة وهو: أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، وكل ما يُفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة"[١].

٢- أمَّا العز بن عبدالسلام رحمه الله عندما عَبَّر عن سبب تأليف «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» يُشير إلى جزء من معنى المقاصد، فقال: "فصل في بيان مقاصد هذا الكتاب: الغرض بوضع هذا الكتاب: بيان مصالح الطاعات والمعاملات وسائر التصرفات لسعي العباد في تحصيلها، وبيان مفاسد المخالفات؛ ليَسعى العباد في درئها، والشريعة كلها مصالح؛ إمَّا تَدرأ مفاسد وتجلب مصالح، فإذا سمعت الله عز وجل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾؛ فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيرًا يحثُّك عليه، أو شرًّا يَزجرك عنه، أو جمعًا بين الحثِّ والزجر"[٢].

٣- وعرفها ابنُ تيمية رحمه الله تعالى: بـ"أنها الغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته سبحانه، وهي ما تنتهي إليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة التي تدل على حكمته البالغة"[٣].

٤- قال الشاطبي رحمه الله: "تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها: أن تكون ضرورية. والثاني: أن تكون حاجية. والثالث: أن تكون تحسينية"[٤]، وقال: "إن الشارع قصد بالتشريع إقامة المصالح الأخروية والدنيوية"[٥].

قال سيف الدين الآمدي رحمه الله: "المقصود من شرع الحكم: إمَّا جلب مصلحة،

(٢) الغزالي، **المستصفى**، ط١، (ص١٧٤).

(٢) العز بن عبد السلام، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام** (١/ ١٠)، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ١٩٩٤م.

(٣) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (٣/ ١٩)، ط٣، الرياض، السعودية، ١٤٢٦هـ.

(٤) **الموافقات**، للشاطبي، (٢/ ١٧).

(٥) المصدر السابق (٢/ ٦٢).

أو دفع مضرة، أو مجموع الأمرين بالنسبة للعبد، وإذا عرف أن المقصود من شرع الحكم إنما هو تحصيل المصلحة أو دفع المضرة، فذلك إمَّا أن يكون في الدنيا أو في الآخرة، فإن كان في الدنيا فشرع الحكم إمَّا أن يكون مفضيًا إلى تحصيل أصل المقصود ابتداء أو دوامًا أو تكميلًا"[١]

٥- وعرفها الدكتور نور الدين الخادمي بقوله: "هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها؛ سواء أكانت تلك المعاني حِكمًا جزئية، أم مصالح كلية، أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد، هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين"[٢]، وهذا تعريف موفق جدًّا؛ لأنه انتبه إلى مقصد المقاصد، وهو تقرير العبودية لله سبحانه، ويتبعه مصالح العباد، إلا أنه يؤخذ عليه التكرار الذي لا داعي له، والاستطراد والتطويل في التعريف، نستنتج أن علم المقاصد هو علم يدرس الأدلة إجمالًا، والأحكام الشرعية الخاصة، ويعتني بدراسة المعاني والحِكم التي من أجلها شُرعت الأحكام الشرعية، وقد تكون عامة، وقد تكون خاصة؛ فعلم المقاصد حقيقة هو عِلم مرتبط بأصول الفقه وبالفقه معًا، وإن كانت تعريفاته عند العلماء متفاوتة، فإنها في آخر المطاف تَصب في اتجاه واحد يهدف إلى أن المقاصد الشرعية متعلقة بدراسة الأدلة والأحكام الشرعية وفهم مناطها ومقصود الشارع منها، والغاية المرجوة من ورائها؛ تحقيقًا للمصلحة ودرءًا للمفسدة، وهي تسعى دائمًا إلى حفظ الضروريات الخمس؛ من الدِّين، والنفس والنسل، والعقل والمال، فقد اصطلح أهل العلم على تقسيم المقاصد إلى ثلاث مراتب وهي (الضروريات، ثم الحاجيات، ثم التحسينيات)، وهو اصطلاح قديم متوافق مع تاريخ التشريع وما تضمن من أحوال وحالات؛ أمَّا مرتبة الضروريات فهي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا؛ بحيث إذا فقدت لم تجرِ الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الآخرة فوت

(١) الآمدي، علي بن مُحَمَّد الآمدي، **الإحكام في أصول الأحكام**، (٢/ ٢٩٦)، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتاب، ١٩٨٤م.

(٢) الخادمي، نور الدين الخادمي، **الاجتهاد المقاصدي**، (ص٥٢)، ط١، قطر، رئاسة المحاكم الشرعية، ١٤١٤هـ.

النجاة والنعيم والرجوع بالخسران، وهي أعلى المراتب، بل هي الغاية الأولى من نزول التشريع، وهي جارية في العبادات والمعاملات والعادات، وهي على الترتيب خمس: حفظ الدِّين والنَّفس والعقل والنسل والمال، ولهذه المرتبة مكمل لا يعود على أصله بالإبطال ولا يعدم الأصل بفوته، وتليها الحاجيات: وهي المفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلي الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب؛ كالإجارة وهي جارية على ما تجري عليه الضروريات، بل تعتبر هذه المرتبة من مكملات مرتبة الضروريات، أما الثالثة: وهي التحسينيات، فهي محاسن العادات ومكارم الآداب؛ بحيث انعدامها لا يؤثر لا في الحاجي ولا في الضروري؛ كإزالة النجاسات، وستر العورات، وأخذ الزينة، والتقرب بنوافل الخيرات من الصدقات، وتُعتبر من مكملات الحاجيات والضروريات.

الدراسات السابقة

إن علم مقاصد السور راجع إلى تحقيق المقصد من إنزال هذا القرآن كله، وهو التدبر والهداية؛ كما قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩]، فالله تعالى أمرنا بالتدبر لمعرفة مراده تعالى من كلامه والعمل به، وليس المقصود بالتدبر هو النظر في عباراته وألفاظه دون النظر لمقاصده ومراد الله تعالى فيه وما تهدي إليه سُوره وآياته من الهدايات والدلالات التي بها يتحقق الفهم والعمل، ومن هنا يتبين أهمية علم المقاصد؛ إذ أنه يركز على تحقيق مراد الله تعالى في كلامه، بالنظر إلى مجمل السورة وبيان مجمع معانيها، واهتم علماء التفسير بتوضيح مقاصد السور، ولكن كان يأتي ذلك عرضًا في تفسير الآيات والسور، ولم يصنف في الماضي كتبًا مستقلة لذكر مقاصد كل سورة على حدة، وقد كان يسمى سابقًا بعلم المناسبات، ويعتبر علم دراسة مقاصد السور من العلوم المستجدة التي دعت الحاجة إلى العناية بها؛ لأهميتها لطالب العلم ولحافظ القرآن والفقيه والمفسر وعلماء الأصول ولسائر الأمة، ومن أفضل التطبيقات التي بهذه الصورة تحليل الشيخ الدكتور عبد الله دراز لسورة البقرة في كتابه "النبأ العظيم"، وهو كتاب له عدة طبعات، ومنها التي اعتنى بها

وخرج أحاديثها عبد الحميد الدخاخني، المطبوع بدار طيبة للنشر والتوزيع.

ومما وقفتُ عليه من دراسات سابقة:

١- أهداف كل سورة ومقاصدها، للدكتور عبد الله شحاتة رحمه الله:

حيث قدم فيه لكل سورة من سُور القرآن صورتها العامة وأفكارها الرئيسية ومبادئها وتوجيهاتها، طبع الهيئة المصرية للكتب العامة، سنة الطباعة ١٩٧٦م.

والفرق بين دراستي هذه هو أن الدكتور عبد الله شحاته رحمه الله بحث في هذه الدراسة كل سورة من سور القرآن الكريم في صورتها العامة وأفكارها الرئيسة؛ فدراسته تحاول أن تكتشف الروح الذي يسرِي بين آياتها، ويسيطر على مبادئها وتوجيهاتها؛ فذكر لكل سورة أهدافها، وسبب نزولها، ومكية أم مدنية، وأسماء كل سورة إن كان لها اسم غير الذي اشتهرت فيه، ثم ذكر الغرض من السورة، ثم سماتها، ومنهجها، والدروس المستفادة منها، وشبه الكافرين التي ممكن أن تطرأ على السورة، والرد على تلك الشبه، وتناول رحمه الله سور القرآن الكريم حسب ترتيب المصحف بالنسبة لسوره، من سورة البقرة حتى سورة الجاثية، نهاية الجزء الخامس والعشرون، بينما دراستي كانت دراسة تحليلية لسورة واحدة من القرآن الكريم.

٢- كتاب: علم مقاصد السور، للدكتور مُحَمَّد عبد الله الربيعة:

تناول فيه الباحث التعريف بعلم المقاصد وأهميته، وذكر تأصيله وأدلته، وتحدث عن عناية العلماء بعلم المقاصد، ومناهجهم فيها، وطرق الكشف عن مقاصد السور، طَبع مركز البحوث الشرعية في كلية الشريعة بجامعة القصيم، سنة الطبع ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

والفرق بين دراستي وكتاب الدكتور الربيعة: هو أنه تكلم في كتابه بما يخص علم المقاصد بشكل عام في القرآن الكريم، مع تمهيد عام لعلم مقاصد الشريعة، ودراستي تطرقت لموضوع المقاصد بالإضافة للدراسة التحليلية للآيات التي درستها.

المقارنة

ومن خلال الاطلاع على الدراسات السابقة والمقارنة بهذا البحث- لم أعثر على بحث

يختص بسورة المزمل ومقاصدها، وإنما ذَكر شيئًا من أغراض السورة الشيخُ الطاهرُ بن عاشور رحمه الله في تفسيره «التحرير والتنوير»، وهو ممن يعنون بذلك في تفسيره عناية خاصة، حتى لا تكاد تجد سورة لم يتحدث عن مقاصدها، كما ذكر صاحبُ كتاب «بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز» مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي- بعضَ التفصيل لتلك السورة، فكتابه هذا يبحث في بعض علوم القرآن، ثم هناك جهبذ في هذا الفن، وهو الإمام البقاعي رحمه الله في كتابه «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور»؛ حيث يعد البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ هو المنَظِّر الحقيقي لمصطلح "مقاصد السور" في كتابه «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور»؛ فقد وصل إلى مقصد السورة بأسس منهجية اتَّبعها وبَيَّنها، والقارئ لكتابه يَخرج بملكة علمية في موضوع مقاصد السور، كما يتعرف على الأسس التي سار عليها البقاعي في استخراجه لمقصد السورة دون أن يكون أسيرًا لاجتهاد المؤلف دون معرفة لطريقة الوصول للمقصد، والبقاعي يُبين في مقدمته للكتاب حيث قال: "كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها؛ فترتب المقدمات الدالة عليه على وجه مُتقن ونهج مبدع، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل استدل عليه، وهكذا في دليل الدليل، وهلم جرًّا، فإذا وصل الأمر إلى غايته ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام إليه، وعاد النظر عليه، على نهج آخر بديع، ومرقى غير الأول منيع"[(١)]، كما جمع ما يخص هذه السورة ومقاصدها المؤلف عبد الرحمن القماش صاحب كتاب «الحاوي في تفسير القرآن العظيم» المسمى (جنة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلَّاق)، حيث يعد هذا الكتاب موسوعة ضخمة في تفسير القرآن الكريم وعلومه، تضم أكثر ما حوته أمهات الكتب من تفاسير وقراءات وإعراب وبلاغة ولطائف وفوائد وفرائد وإعجاز علمي وغير ذلك، وهناك بعض الأبحاث والمقالات في مقاصد بعض السور، على شكل رسائل وبحوث، ومنها ما هو

(١) البقاعي، إبراهيم بن عمر حسن الرباط البقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور** (١/ ١٤٩)، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ١٤٠٨هـ.

منثور في بعض كتب التفسير المعتمدة لأئمة التفسير المعتبرين، فهي لا تخلو من الفوائد والأحكام النوادر من اللطائف التفسيرية، التي لا يَعرف قدرها إلا من وفق واطلع عليها، واستفاد منها، وسأقوم مستعينًا بالله الواحد القهار في هذا البحث بتفسير الآيات وبيان مقاصدها آية آية مع ربط المقاصد بعضها ببعض، وربط أول السورة بآخرها ما استطعت، والله الهادي إلى سواء السبيل.

منهج البحث

يعتبر هذا البحث بمثابة دراسة تحليلية، وفيها- بإذن الله- سأعمد إلى بيان مفهوم علم المقاصد في القرآن الكريم، وتطبيق ذلك على هذه السورة، اعتمادًا على بعض كتب التفسير والسيرة وكتب السنة الصحيحة.

المنهج المتبع:

الالتزام بقواعد التفسير بالمأثور والرأي المحمود، وتتبع أصول البحث العلمي:

- تفسير القرآن بالقرآن.
- تفسير القرآن بالسنة المطهرة.
- تفسير القرآن بأقوال الصحابة وعلماء التفسير إلى يومنا هذا.
- تفسير القرآن باللغة العربية، وخاصة الغامض والغريب منها.
- اتِّباع خطوات التفسير الموضوعي للسورة.
- الحديث عن موضوعات السورة الأساسية وعلاقتها بمحورها الأساس.
- التفصيل في دراسة موضوعات السورة، وربط بعضها ببعض.
- وضع رؤية مستقلة لموضوعات السورة، وربطها بواقعنا المعاصر ما أمكن.
- نسبة الآيات إلى سورها؛ مع ذكر رقم الآية، ويكون ذلك في المتن لكثرة الآيات.
- الاستدلال بالأحاديث الصحيحة والحسن منها أحيانًا، ونقلها من أصولها الحديثية حسب الأصول المتبعة في البحوث العلمية، مع عزوها إلى مظانها، وذكر الحكم نقلًا عن العلماء إلا ما كان في البخاري ومسلم، وما كان غير ذلك بَيَّنْتُه.

– كان ترتيب كتب المراجع جميعها حسب أسماء المؤلفين أبجديًّا.

وأمَّا المنهج المستخدم، فقد استخدمتُ (المنهج الوصفي الاستنباطي)؛ لملائمته للبحث، وهو يفي بغرض الدراسة، ويخدم البحث.

وسأتبع الخطوات التالية في هذا البحث إن شاء الله تعالى:

١– كتابة مقدمة عن البحث وأسباب اختيار البحث.

٢– جمع المصادر اللازمة للرجوع إليها، وأخذ ما أحتاجه للبحث.

٣– كتابة خاتمة للبحث؛ تشمل النتائج التي أكون قد توصلت إليها بالبحث، وأهم التوصيات بعد الانتهاء من البحث.

٤– كتابة فهارس للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية والمصادر والمراجع والموضوعات.

حدود البحث

ومنهجي في هذا البحث متواضع يحدد– إن شاء الله– مقاصد سورة المزمل، وبعض الأحكام والإرشادات والفوائد التي دلت عليها كرسم الجدول اليومي للإنسان المسلم من خلال هذ السورة.

ثم الكلام عن بروز مقصد الدعوة على قيام الليل، والتقرب إلى الله عز وجل بهذه العبادة.

ثم التوكل على الله تبارك وتعالى حق التوكل، والاقتداء بخير البشر ﷺ.

إظهار مقصد الصبر على دعوة الناس للدين الحق.

ما تضمنته الآية الأخيرة من هذه السورة من فوائد وأحكام كغرس مخافة الله عز وجل ومراقبته في جميع الأحوال، والقيام بما أمر به من الواجبات، والإكثار من النوافل والاستغفار، وذلك لتدارك الخطأ الذي يطرأ على العبد خلال الليل والنهار.

وإنني لأسعى من خلال هذا العمل والبحث المتواضع أن يمن الله عليَّ بالفتح من عنده لأنفع أمتي ما استطعت؛ لتصل إلى ما وصل إليه سلفها الصالح من مكارم الأخلاق الذي

أساسه ومنبعه هو إيمانهم بالله عز وجل وطاعتهم لرسوله ﷺ، فذلك هو الطريق الموصل- بإذن الله تعالى- إلى رضوانه والجنة؛ أسأل الله أن يجعلنا من أهلها بفضله ومنه وكرمه.

إجراءات البحث

سيتم عزو الآيات إلى القرآن الكريم؛ بذكر اسم السورة ورقم الآية حسب ترتيب المصحف العثماني، وعزو الأحاديث المذكورة بالبحث إلى أمهات كتب السُّنَّة، مع ذكر درجة صحة الحديث إن لم يكن من أحاديث "الصحيحين"، وعزو النصوص المقتبسة من كتب التفسير كل إلى مصدره الأصلي، وسأقتصر على النقل من أمهات كتب التفسير؛ كتفسير الطبري والسيوطي والقرطبي وغيرهم من الأئمة الكبار رحمهم الله تعالى، ومن المعاصرين كصاحب "التحرير والتنوير" الطاهر ابن عاشور، وغيرهم ممن أتحفونا وأوصلوا لنا هذا العلم النافع الماتع رحمهم الله جميعًا.

أدوات البحث

- الحاسب الآلي والشبكة العنكبوتية.
- المكتبة الرقمية الشاملة.
- الكتب والدراسات المتعلقة بموضوع البحث.
- جامعة المدينة العالمية.

الفصل الأول

المبحث الأول: التعريف العام بالسورة:

سورة المزمل: هي من السُّور المليئة بالخطاب المسلي للنبي ﷺ، والرابط على قلبه، والرافع من شأن القرآن الكريم، وهو خطاب موجه ومرشد للصحابة الكرام إلى ما يُسعدهم ويصلح حالهم في الدارين، ويُهدد المشركين ويتوعدهم بسوء العاقبة والمصير إذا ما استمروا على كفرهم وشركهم، ويذكر هذا الخطاب الناس جميعهم؛ مسلمهم وكافرهم بأهوال يوم القيامة التي تَشيب لها الولدان، ثم يتلطف الخطاب ليسوق أنواعًا من يُسر شريعته ورحمة الباري عز وجل بعباده، وإثابتهم بالأجر الكبير والثواب العظيم على أعمالهم الصالحة، وأفعالهم الكريمة؛ قال البقاعي رحمه الله عن هذه السورة: "مقصودها: الإعلام بأن محاسن الأعمال تَدفع الأخطار والأوحال، وتخفف الأحمال والأثقال، ولا سيما الوقوف بين يدي الملك المتعال، والتجرد في خدمته في ظلمات الليل، فإنه نِعم الإله لقبول الأفعال والأقوال ومحو ظلل الضلال، والمعين الأعظم على الصبر والاحتمال لما يرد من الكدورات في دار الزوال والقلعة والارتحال، واسمها "المزمل" أدل ما فيها على هذا المقال"[1].

أما عن ترتيب السورة في المصحف: فترتيبها هي السورة الثالثة والسبعون حسب ترتيب المصحف العثماني، وقال صاحب "البيان" في عدِّ آيات القرآن "أن كلماتها مائة وتسعون كلمة- والصحيح: مائتان وخمسة وثمانون كلمة- وحروفها ثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفًا، وهي ثماني عشرة آية في المدني الأخير، وتسع عشرة في المكي بخلاف عنه وفي البصري، وعشرون في عدد الباقين وفي المكي من روايتنا، اختلافها أربع آيات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ عَدَّها الكوفي والمدني الأول والشامي، ولم يَعدها الباقون، وكلهم عَدَّ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ من حيث شاكل

(١) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، **نظم الدرر في ترتيب الآيات والسور**، (٨/ ٢٠٢)، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.

آخرها أو آخر رءوس الآي بعدها، ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا... ﴾ عَدَّها المكيُّ ولم يَعدها الباقون، ﴿ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا... ﴾ لم يَعدها المكي بخلاف عنه، وعَدَّها الباقون، وهو الصحيح عن المكي، ﴿ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا... ﴾ لم يَعدها المدني الأخير، وعَدَّها الباقون"[(١)].

المبحث الثاني: أسماؤها:

بعد البحث والاطلاع في كتب علوم القرآن الكريم لم أجد اسمًا للسورة غير اسم المزمل، فليس لها غير هذا الاسم، قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: "ليس لهذه السورة إلا اسم (سورة المزمل)؛ عُرفت بالإضافة لهذا اللفظ الواقع في أولها، فيجوز أن يُراد به حكاية اللفظ، ويجوز أن يراد به النبي ﷺ موصوفًا بالحال الذي نُودي به في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ [(٢)].

فقد تكلمت السورة عن عدة مواضيع، وكان من أبرزها مخاطبة الله عز وجل لنبيه ﷺ خطاب انبساط، ومن خلال هذا الخطاب أمره بعدة أمور، ومن أعظمها: المحافظة على الصلاة، وأمره بقيام الليل وتلاوة القرآن الكريم، والتقرب إلى الله تعالى بهذه العبادات، مع بيان حجة التوحيد، والأمر بالصبر على جفاء المشركين وتهديدهم بما أعد الله تعالى لهم من العذاب المهين، وتسلية النبي ﷺ، بذكر أخيه موسى عليه السلام من قبل عندما أرسله الله عز وجل إلى فرعون وقومه، وكان ذلك على وجه التشبيه بين رسالة مُحَمَّد ﷺ ورسالة موسى عليه السلام؛ قال الطاهر بن عاشور رحمه الله في أغراض هذه السورة: "الإشعار بملاطفة الله تعالى رسوله ﷺ بندائه بوصفه بصفة تزمُّله، واشتملت على الأمر بقيام النبي ﷺ غالب الليل، والثناء على طائفة من المؤمنين حملوا أنفسهم على قيام الليل، وعلى تثبيت النبي ﷺ بتحمل

(١) الأموي الداني، أبو عمر الأموي الداني، **البيان في عدِّ أي القرآن**، (ص٢٥٧)، ط١، تحقيق: غانم قدوري الحمد، الكويت، مركز المخطوطات العربية، ١٤١٤هـ.

(٢) الطاهر بن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد التونسي، **التحرير والتنوير**، (٢٩/ ٢٥٢)، د. ط، تونس، دار سحنون للنشر، ١٩٩٧م.

إبلاغ الوحي، والأمر بإدامة إقامة الصلاة وأداء الزكاة وإعطاء الصدقات، وأمره بالتمحض للقيام بما أمره الله من التبليغ، وبأن يتوكل عليه، وأمره بالإعراض عن تكذيب المشركين، وتكفل الله له بالنصر عليهم، وأن جزاءهم بيد الله، والوعيد لهم بعذاب الآخرة، ووعظهم مما حلَّ بقوم فرعون؛ لما كذبوا رسول الله إليهم، وذكر يوم القيامة ووصف أهواله، ونسخ قيام معظم الليل بالاكتفاء بقيام بعضه مراعاة للأعذار الملازمة، والوعد بالجزاء العظيم على أفعال الخيرات والمبادرة بالتوبة، ودمج في ذلك أدب قراءة القرآن وتدبره، وأن أعمال النهار لا يُغني عنها قيام الليل"[1].

المبحث الثالث: أسباب نزول السورة

أما عن سبب النزول، فقد جاءت عدة روايات تشير إلى أسباب نزول بعض الآيات من السورة، وهذه الآيات هي:

١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾.

٢- ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾.

٣- ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾.

أخرج مسلم في "صحيحه" عن سعد بن هشام، قال: "قلت لعائشةَ: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ قالت: ألستَ تقرأ هذه السورة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ ؟! قلت: بلى. قالت: «فإنَّ

(١) المصدر السابق (٢٩/ ٢٥٥).

الله قد افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولًا حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهرًا، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعًا من بعد الفريضة»[(١)]، وعن جابر قال: «اجتمعت قريش في دار الندوة، فقالوا: سَمُّوا هذا الرجل اسمًا يصدر عنه الناس! فقالوا: كاهن. قالوا: ليس بكاهن! قالوا: مجنون. قالوا: ليس بمجنون! قالوا: ساحر. قالوا: ليس بساحر! فبلغ ذلك النبي ﷺ فتَزَمَّل في ثيابه فتدثر فيها؛ فأتاه جبريلُ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾»[(٢)].

قال أبو بكر السيوطي رحمه الله في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾: أخرج الحاكم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "لما أنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾، قاموا سنة حتى ورمت أقدامهم، فأنزلت: ﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾"، وأخرج ابن جرير مثله عن ابن عباس وغيره[(٣)]، وقال- أيضًا- في "الإتقان": "استثني منها: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي... ﴾، حكاه الأصبهاني. وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ ...﴾ [المزمل٢٠] إلى آخر السورة، حكاه ابن الفرس، ويردُّه ما أخرجه الحاكم عن عائشة: "أنه نزل بعد نزول صدر السورة بسنة، وذلك حين فرض قيام الليل في أول الإسلام قبل فرض الصلوات الخمس"[(٤)]، وعن ابن عباس قال: «لما نزلت أول المزمل كانوا يقومون نحوًا من قيامهم في شهر رمضان، حتى نزل آخرها، وكان بين أولها وآخرها

(١) أخرجه الإمام مسلم في **صحيحه**، كتاب (المساجد ومواضع الصلاة)، باب (جامع صلاة الليل ومن نام عن صلاة) (١/ ٥١٣)، حديث رقم (٧٤٦).

(٢) قال الهيثمي في **مجمع الزوائد**: "رواه البزار والطبراني في الأوسط، وفيه معلى بن عبد الرحمن، وهو كذاب".

(٣) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **لباب النقول في أسباب النزول**، (ص٢٠٥)، د. ط، بيروت، لبنان، د. ت.

(٤) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (ص٥٤)، د. ط، بيروت، لبنان، دار ابن حزم، ٢٠١٥م.

سنة»[1]، أي: فتكون السورة كلها مكية؛ فتعَيَّن أن قوله: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ أمر به في مكة، والروايات تَظاهرت على أن قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ...﴾ إلى آخر السورة نزل مفصولًا عن نزول ما قبله بمدة مختلف في قدرها، فقالت عائشة: «نزل بعد صدر السورة بسنة»، ومثله روى الطبري عن ابن عباس، وقال الجمهور: نزل صدر السورة بمكة ونزل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ...﴾ إلى آخرها بالمدينة، أي: بعد نزول أولها بسنين، فالظاهر: أن الأصح إن نزول ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ...﴾ إلى آخر السورة نزل بالمدينة؛ لقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ إن لم يكن ذلك إنباء بمغيب على وجه المعجزة، وروى الطبري عن سعيد بن جبير قال: "لما أنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾مكث النبيﷺ على هذا الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره الله، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه؛ فأنزل الله بعد عشر سنين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ...﴾ إلى ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾"[2]، أي: نزلت الآيات الأخيرة في المدينة بناء على أن مقام النبي ﷺ بمكة كان عشر سنين، وهو قول جم غفير، والروايات عن عائشة مضطربة بعضها يقتضي أن السورة كلها مكية وأن صدرها نزل قبل آخرها بسنة قبل فرض الصلاة، وهو ما ذكره السيوطي رحمه الله تعالى آنفًا في "الإتقان"، وذلك يقتضي أن أول السورة نزل بمكة، وفي رواية عند الطبري عن عائشة فيها: "أنه كانت تفرش لرسول ﷺ حصيرًا؛ فصلى عليه من الليل، فتسامع الناس فاجتمعوا فخرج مغضبًا وخشي أن يُكتب عليهم قيام الليل، ونزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾؛ فكتبت عليهم بمنزلة الفريضة، ومكثوا على ذلك ثمانية أشهر، ثم وضع الله تعالى ذلك عنهم؛ فأنزل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ...﴾ إلى

(١) رواه أبو داود في **سننه**، كتاب (الصلاة)، باب (نسخ قيام الليل والتيسير فيه)، (١/ ٥٠٣)، برقم (١٣٠٧)، وصححه الألباني.

(٢) الطبري، أبو جعفر؛ مُحَمَّد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (٢٣/ ٣٦١)، ط١، الرياض، السعودية، ١٤٢٢، تحقيق: عبد الله التركي، وأصله عند مسلم كتاب (المساجد)، باب (جامع صلاة الليل) (١/ ٥١٣) برقم (٧٤٦).

﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ...﴾، فردَّهم إلى الفريضة، ووضع عنهم النافلة"[١]، وهذا يقتضي أن السورة كلها مدنية؛ لأنَّ النبي ﷺ لم يَبْنِ بعائشة إلا في المدينة، ولأن قولها: "فخرج مغضبًا" يقتضي أنه خرج من بيته المفضي إلى مسجده، ويؤيده أخبارٌ تُثبت قيام الليل في مسجده، ولعل سبب هذا الاضطراب اختلاط في الرواية بين فرض قيام الليل وبين الترغيب فيه، ونسب القرطبي إلى "تفسير الثعلبي" قال: قال النخعي: "في قوله تعالى: {يا أيها المزمل} كان النبي ﷺ متزملًا بقطيفة عائشة، وهي مرط نصفه عليها وهي نائمة ونصفه على النبي ﷺ وهو يُصلي، وإنما بَنى النبي ﷺ بعائشة في المدينة"[٢]، فالذي نعتمد عليه أن أول السورة نزل بمكة لا محالة؛ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا...﴾، وأن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ...﴾ إلى آخر السورة نزل بالمدينة بعد سنين من نزول أول السورة؛ لأن فيه ناسخًا لوجوب قيام الليل عن النبي ﷺ، وأن ما رووه عن عائشة أن أول ما فرض قيام الليل قبل فرض الصلاة غريب[٣].

(١) المصدر السابق (٢٣/ ٣٦٠).

(٢) القرطبي، مُحَمَّد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٩/ ٣٢)، ط١، الرياض، السعودية، دار عالم الكتب، ١٤٢٢هـ.

(٣) الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٩/ ٢٥٤)، والحديث في **صحيح الإمام مسلم**، كتاب (المساجد)، باب (جامع صلاة الليل)، (١/ ٥١٣)، برقم (٧٤٦).

الفصل الثاني: مقاصد السورة وشيء من فوائدها

المبحث الأول: الجدول اليومي للإنسان المسلم في هذه السورة

هذه السورة المباركة تنظم الجدول اليومي للمسلم؛ حيث تبني هذا الجدول على أعمال عدة؛ أهمها: قيام الليل بتلاوة القرآن الكريم بالشكل الصحيح، بخشوع على وجه التدبر والتأمل والتفكر فيه، وإقامة حروفه وحدوده؛ من حيث تحكيمه، بالوقف على ما نهى عنه من معاصٍ وآثام، وفعل ما أمر به من طاعات وقربات، ثم التخلق والتحلي بالصبر على مجاهدة النفس بالانقياد إلى طاعة الله عز وجل، والتمسك بما أمر الله تعالى به، ثم الصبر على الأذى الذي يقع على الداعية إلى الله تعالى خلال دعوته وتبليغه لدين الله عز وجل، ثم العمل الجاد في النهار ومكابدة النفس على تحصيل ما يتطلب لها في الحياة اليومية، وكل ذلك لا يتحقق إلا من خلال العمل الجاد الذي يكون شعاره تقوى الله تبارك وتعالى، مع النية الصادقة والإخلاص لله تعالى بكل الأمور، ثم التفكر والتذكر في أحوال الأمم السابقة من خلال ضرب المثل بهذه الآية الكريمة لفرعون وقومه وما حلَّ بهم، وصاروا بذلك عبرة للمعتبرين، ثم الاهتمام بالوقت في حياة المسلم؛ فمَن وَفَّقه الله تعالى في المحافظة على الدقائق والثواني في حياته وإشغالها بطاعة الله عز وجل وذكره، فأفضل الذكر تلاوة القرآن الكريم؛ لأن القرآن العظيم حياة القلوب، ونور العقول، والهدى المستقيم، والقائد إلى رضوان الله وإلى جنات النعيم، حرز من الشيطان وقُربة إلى الرحمن؛ تلاوته عبادة، والتفكر في معانيه فوز وسعادة، فذكر الله عز وجل أعطى عليه تبارك وتعالى من الثواب والجزاء ما لا يُحيط به وصف ولا يُحصيه عدد؛ فيجد المؤمن أثره في الدنيا، وما في الآخرة أعظم وأبقى؛ فمِن ثواب الذِّكر لله تعالى أن الله يذكر مَن ذكره في الملأ الأعلى، ويكون الله مع الذاكرين، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرَّب إليَّ بشبر تقربت منه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني**

يمشي أتيته هرولة»[(١)]، فبالمحافظة على الذكر تحصل طمأنينة القلب وثباته ويقينه، فيورث الحب لله تعالى ولرسوله ﷺ ويزيد الإيمان، وتتيسر به الأمور، وتنشرح به الصدور، ويحرز به المسلم نفسه ويحصنها من مكائد الشيطان؛ قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، فنبينا وخير الخلق ﷺ كان يحافظ على الذِّكر في جميع أوقاته وخصوصًا في وقت الليل، فعلى المسلم التقرب إلى الله بملء جميع الأوقات بالاستغفار والذِّكر، فقد جاءت في السنة النبوية أذكار لجميع أعمال المسلم اليومية؛ كأذكار الصباح والمساء، ودُبر كل صلاة، وأذكار النوم والاستيقاظ، والدخول والخروج من المسجد والمنزل، والطعام والركوب وغيرها، فإن الأمر في هذا واسع؛ قال تعالى:﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾ [المزمل: ٨]، فإن في ذكر الله طمأنينة للقلب وراحة للنفس، فهذه الأعمال هي بناء روح الداعية إلى الله تعالى، وذلك من خلال ذكر الزَّاد الذي يعينه على بناء تلك الروح وقيامها من أجل مواجهة الشدائد والمصاعب في هذه الحياة، وذِكر أنواع هذا الزاد من توحيد وإخلاص وذكر لله تعالى وقيام وتبتل وصبر على الأذى، وكله من أجل تثبيت قلب النبي ﷺ وأصحابه الكرام ومَن سار على نهجهم لتبليغ هذه الدعوة الصادقة العظيمة، مع توعد المكذبين لها الجاحدين صدق هذا النبي ﷺ، المؤيَّد من ربه تبارك وتعالى بكل ما جاء به، حيث إن التكذيب والاعتراض في الغالب لا يأتي إلا ممن وَسَّع الله عليهم بالنعم؛ لذلك قال تعالى:﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١١].

(١) أخرجه الإمام البخاري في **صحيحه**، كتاب (التوحيد)، باب: (ويحذركم الله)، (٩/ ١٢١)، رقم (٧٤٠٥)، والإمام مسلم في **صحيحه**، كتاب (الذكر والدعاء)، باب (الحث على ذكر الله) (٨/ ٦٢)، رقم (٢٦٧٥).

المبحث الثاني: مقصد الدعوة إلى قيام الليل

من خلال قوله تبارك وتعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾ [المزمل: ١- ٤] يتبين لنا أن قيام الليل من النوافل المطلقة، وحكمه: سنة مؤكدة ولقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم ﷺ به؛ فعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ: "جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «**يا محمدُ، عِش ما شئت فإنَّك ميت، واعمل ما شئتَ فإنَّك مجزي به، وأَحبب مِن شئت فإنَّك مُفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزَّه استغناؤه عن الناس**»[(١)]، فيُسن للمسلمين قيام الليل اقتداء بالنبي ﷺ، وطلبًا للأجر والفضل الكبيرين، ويكون وقت هذا القيام من بعد صلاة العشاء، ويجوز طيلة الليل إلى قبيل أذان الفجر، ويُكثر فيه طلب الحوائج والفرج والمغفرة من خلال الاجتهاد في الدعاء؛ فبقيام الليل دعوة تستجاب وحوائج تُقضى وذنب يُغتفر، وزيادة في الإيمان والتلذذ بالخشوع للملك الديان، وتحصيل للسكينة، ووقوع الطمأنينة، فيُعد قيام الليل من أكثر السنن المحببة إلى الله سبحانه، والمستجاب بها الدعاء، وخاصة في الثلث الأخير من الليل بعد نصفه؛ فيقسم الليل أنصافًا، ثم القيام في الثلث الأول من النصف الثاني، ثم النوم آخر الليل، حيث ينزل الباري جل وعلا إلى السماء الدنيا في هذه اللحظات نزولًا يليق بعظمته وجلالته وتكون فيها ساعة استجابة لا يَرد الله بها دعاء العبد، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه يَنزل الله تبارك وتعالى إلى السَّماء الدنيا، فيقول: هل مِن سائل يُعطى؟ هل مِن داع يُستجاب له؟ هل من مستغفر يُغفر له؟ حتى ينفجر الصبح**»[(٢)]، ومن مزايا هذا القيام العظيمة: أنه يساعد على الدعوة إلى الله تبارك وتعالى؛ فكان من أول الأوامر التي أمر الله تعالى بها نبيه ﷺ؛ قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ

(١) أخرجه الحافظ المنذري في **الترغيب والترهيب**، وحسنه الألباني في **صحيح الترغيب**، برقم (٦٢٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في **صحيحه**، كتاب (صلاة المسافرين وقصرها)، باب (الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه)، (١/ ٥٢٢)، حديث رقم (١٧٠).

﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل: ١- ٢]، فأول شيء يتعلمه الداعية إلى الله تعالى ومُبَلِّغ هذا الدين هو وجوب الانتقال من وضع التباطؤ إلى وضع الجد والاجتهاد والتأهب لتبليغ دين الله؛ فقيام الليل بعد النوم أدعى لتدبر القرآن والانتفاع به، فمن هنا يظهر لنا أنه عبادة عظمى ترفع الإنسان لأعلى عليين؛ لأنها عبادة خفية بين العبد وربه، وبها تظهر حقيقة التوحيد؛ لذلك جعل الله تبارك وتعالى وقتها الذي تؤدى به أفضل الأوقات، حيث يكون القلب والذهن فارغين، ولذلك كانت أفضل العبادات بعد الفريضة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾ [المزمل: ٦]، لما ذكر الحق جل وعلا سبحانه قيام الليل في هذه السورة لم يَذكر عدد ركعاته، وإنما ذكر مدته ومقداره الزمني؛ ليبين أن المهم فيه هو الزمن الذي يُؤَدَّى به، ومِن عظمها أيضًا: جاء الأمر من الله تعالى بالاعتناء بجودة التلاوة وتحسين الأداء؛ فقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، فصلاة الليل بترتيل وعناية في التلاوة أعون على تذكر القرآن الكريم، والسلامة من نسيانه وتفلُّته لمن رزقه الله تعالى حفظه، فالقيام يجعل في قلب الداعية الأنس الذي قد لا يجده في صلاة النهار، والله الذي خلق هذا القلب يعلم تقلباته ومداخلاته، وأي الأوقات يكون أكثر نفعًا وتفتحًا واستعدادًا، فبالترتيل يحصل التدبر والتفكر في الآيات، ثم ترسخ في ذهن الحافظ أكثر فأكثر، ووصف الله تبارك وتعالى القرآن الكريم بالقول الثقيل حتى يتمهل قارئه في قراءته، ويتعمق في تدبره والتفكر في معانيه؛ ليعظم كل شيء فيه ويتجنب الاستهانة به، فعلى كل داعية أن يستشعر عظم هذا الأجر وفضله، وأن يستعين بالله ويبذل الأسباب التي تُعينه على هذا القيام؛ فباستشعاره تعظم المسئولية وثقل المهمة الملقاة على عاتق الداعية، وهو ما يحتاج لطاقة وزاد يختلف عن غيره من الناس، مستصحبًا في ذلك التربية الإلهية لخير الدعاة ﷺ.

المبحث الثالث: مقصد التوكل على الله تبارك وتعالى

يجب على الإنسان عمومًا والداعية إلى الله تعالى خصوصًا: أن يلجأ إلى الله تبارك وتعالى ويتوكل عليه حقَّ التوكل، وذلك بعد بذل كل الأسباب في جميع الأمور، فالتوكل على

الله هو صدق الاعتماد عليه عز وجل واللجوء إليه في جميع الأمور وترك الاختيار له تبارك وتعالى؛ فاختيار الله عز وجل وتدبيره للعبد أفضل من تدبير العبد لنفسه، فهو الأعلم بمصلحته وأرحم به من نفسه، وهو القادر على نفعه؛ فعلى المسلم أن يأخذ بالأسباب التي قَدَّرها الله تبارك وتعالى، ثم يتوكل عليه. وللتوكل فضائل عظيمة في الدنيا والآخرة لا يُدركها إلا من فَوَّض أمره لله سبحانه، فالتوكل على الله تعالى يَجلب محبته سبحانه وتعالى؛ لأنه يحب المتوكلين، وقد أمر نبيه ﷺ بالتوكل عليه وحده؛ قال تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: ٩]، فعندما يوقن الإنسان بأن الله هو رب المشرق والمغرب ولا إله معبود بحق إلا هو، ويتخذه وكيلًا وكفيلًا، سيكون قيامه في الليل وتسبيحه في النهار سهلًا يسيرًا، ثم التوكل عليه بصدق، وإنزال حوائجه كلها بيد الله تبارك وتعالى؛ فمن كان يعلم بأن الكون كله بيد الله هل يبحث عن ضعيف ويُنزل به حاجته، وبنفس الوقت فإن التوكل يستوجب حبَّ الباري تبارك وتعالى؛ قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وهو سبب من أسباب النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة والفوز بالجنة بغير حساب، فعن ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «**عُرضت عليَّ الأمم؛ فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد، حتى رُفع لي سواد عظيم، قلت: ما هذا؟ أمتي هذه؟ قيل: بل هذا موسى وقومه، قيل: انظر إلى الأفق، فإذا سواد يملأ الأفق، ثم قيل لي: انظر ها هنا وها هنا في آفاق السماء، فإذا سواد قد ملأ الأفق قيل: هذه أمتك ويدخل الجنة مِن هؤلاء سبعون ألفًا بغير حساب**"، ثم دخل ولم يُبين لهم؛ فأفاض القوم، وقالوا: نحن الذين آمنَّا بالله واتبعنا رسوله، فنحن هم، أو أولادنا الذين وُلدوا في الإسلام، فإنَّا ولدنا في الجاهلية، فبلغ النبي ﷺ فخرج، فقال: «**هم الذين لا يَسترقون ولا يَتطيرون، ولا يَكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**»، فقال عكاشة بن محصن: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: «**نعم**»، فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ قال: «**سبقك بها**

عكاشة»[1]، فالإنسان المتوكل على الله يَشعر بالطمأنينة والراحة النفسية، فلا يشعر بالقلق ولا يُعاني من الأمراض الشائعة الناتجة عن القلق والتوتر، فالتوكل على الله دليل على صدق الإيمان؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]، فهذه الآيات والأحاديث تبين لنا أن التوكل على الله عبادة الصادقين وسبيل المخلصين، أمر الله تعالى به أنبياءه المرسلين وأولياءه المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال تعالى:﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٧– ٢١٩]، وأمر به المؤمنين في عدة مواضع من القرآن الكريم؛ فقد قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١]، فأسأل الله تعالى العلي القدير أن يملأ قلوبنا بالتوكل واللجوء والفزع والاعتماد عليه في جميع أعمالنا وأقوالنا، وأن يرزقنا صدق التوكل عليه.

(١) أخرجه الإمام البخاري في **صحيحه**، كتاب (الطب)، باب (مَن اكتوى أو كوى)، (٧/ ١٢٦)، حديث رقم (٥٧٠٥).

المبحث الرابع: مقصد الصبر

ثم يأتي مقصد عظيم في هذه الآية الكريمة، ألا وهو الصبر

لقد كانت نفسُ النبي ﷺ الطاهرة الزكية تتأذى في أول الأمر مما كانت تتعرض له من أذية المشركين ومن سَبِّهم وشتمهم، ومن عيبهم لدعوته ﷺ ولهذا الدِّين، ونشر الوشايات والادعاءات ضده عليه الصلاة والسلام، وهو الطاهر الزكي الصادق في قومه ﷺ، وخاصة أنه نشأ بين قومه منذ نعومة أظفاره وهو عظيم الشأن جليل القدر، حيث كانوا لا يصفونه في بداية حياته التي قضاها بينهم قبل أن يبعثه الله تبارك وتعالى، ويوحي إليه ويكرمه برسالته إلا بكل وصف حميد وخلق جليل؛ كالصادق والأمين، حتى ابتعثه الله تعالى بالتوحيد ونبذ الشرك؛ فأظهروا عداوته، وجاهروا بافتراءاتهم، إلا أن الله جل وعلا قد سَلَّى نبيه وخَفَّف عنه من تلك الافتراءات، وصَغَّر من شأنها في نفسه، حيث ظهر جليًّا من خلال الأمر الإلهي بالصبر على كل ما يقال ويشاع من قبل أهل الزيغ والضلال؛ قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ [المزمل: ١٠]، يظهر هنا بيان كيفيه أصول التعامل مع الناس بالصبر؛ فإمَّا أن تكون بالصبر على الأذى الذي يكون بسببهم، أو هجرهم الهجر الجميل وهو ترك مجادلتهم، فهذا من أعلى مراتب الأدب والروعة والجمال حتى في الهجر والعتاب؛ قال تعالى: ﴿ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾فلا يحملنك ما تسمعه من أذى الناس لك على غِيبتهم وهجرهم، إنما عليك أن تعاملهم بالحسنى، وهو هذا الهجر بالصفة الجميلة التي لا جزع فيها ولا غيبة، فعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا تَعجبون كيف يَصرف الله عني شتمُ قريش ولَعنهم؛ يَشتمون مُذَمَّمًا، ويَلعنون مذمَّمًا، وأنا مُحَمَّدٌ**»[1].

لكن الصبر على أذى الناس أعلى مقامًا من هجرهم، ولذلك قَدَّمه تبارك وتعالى على الهجر، فعن عائشة ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: "هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم

(١) أخرجه الإمام البخاري في **صحيحه**، كتاب (المناقب)، باب (ما جاء في أسماء الرسول ﷺ)، (٤/ ١٨٥)، برقم (٣٥٣٣).

أُحُد، قال: «**لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عَرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يُجبني إلى ما أردتُ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظَلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وما رَدُّوا عليك، وقد بَعث إليك ملكُ الجبال لتأمره بما شئتَ فيهم، فناداني ملكُ الجبال فسَلَّم عليَّ، ثم قال: يا مُحَمَّد، فقال، ذلك فيما شئت؛ إن شئتَ أن أُطبق عليهم الأخشبين؟**». فقال النبي ﷺ: «**بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم مَن يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا**»[(١)].

فالرسول ﷺ وهو خير الخلق وأكرمهم على الله تعالى أُوذي بدعوته للناس وهو خير البشر؛ فكلُّ حياته وسيرته الكريمة ﷺ صبر وكفاح، ورأفة ورحمة.

فحريٌّ بالداعية أن يصبر ويجاهد نفسه على دعوة الناس من غير سخط ولا جزع، وأن يتأسى بالرحمة المهداة والنعمة المزجاة صلى الله عليه وعلى آله ومَن والاه؛ فالأذى الذي يَلقاه الداعية إلى الله تعالى في طريقه لن يُلطفه ويهونه شيء مثل مناجاة الله عز وجل بالقرآن في جوف الليل، فهذا أعظم زاد للداعية على طول طريق الدعوة ومشقتها، فقد أمر الله تعالى خير خلقه ﷺ بعد كل المعاناة بالصبر الجميل على أذى قومه فقال: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ [المزمل: ١٠]، أى: اجعل يا مُحَمَّد اعتمادك وتوكلك عليَّ وحدي، واصبر على ما يقوله أعداؤك في حقك من بهتان وأكاذيب وأقوال باطلة، واهجرهم هجرًا جميلًا، أى: واعتزلهم وابتعد عنهم، وقاطعهم مقاطعة حسنة، ولا تُقابل السيئة سيئة بمثلها، ولا تجعل هجرهم بأن تسبهم، أو ترميهم بالقبيح من القول، فنبينا ﷺ محفوظ بحفظ الله ومؤيد بتأييد الله، والعاقبة لهذا الدِّين ولو كره المشركون، وإنه لمن المهم أن يُدرك كل داعية ما ينبغي

(١) أخرجه الإمام البخاري في **صحيحه**، كتاب (بدء الخلق)، باب (إذا قال أحدكم: آمين)، (٤/ ١١٥)، برقم (٣٢٣١)، والإمام مسلم في **صحيحه**، كتاب (الجهاد)، باب (ما لقي النبي ﷺ)، (٣/ ١٤٢٠)، برقم (١٧٩٥).

عليه من الثبات على هذا الدين، وألا يغتر بأقوال المشبهين والمحادين لهذا الدِّين، كما أن من المتعين على المسلم عمومًا والداعية إلى الله تعالى خصوصًا: أن يَشرف بأن يحمل هَمَّ هذا الدين وهَمَّ الدفاع عنه وهَمَّ الدعوة إليه، فهذا مخاطب به كل المسلمين، فالدعوة إلى الإسلام وتعريف الناس به ليست مهمة مقتصرة على أهل العلم والدعوة فقط، بل كل مسلم مخاطب بذلك بقدر ما عنده من العلم والقدرة، والله عز وجل يقول في كتابه الكريم: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١- ٣]، وهكذا فالآيات التي تَحثه وأمته على الصبر كثيرة وعديدة في كلام الله تبارك وتعالى، وأما المواقف التي تجلى فيها صبر النبي ﷺ فهي كثيرة وعديدة؛ فمنها ما جاء في هذه السورة المباركة، فنبينا ﷺ هو الأسوة العظمى والقدوة الكبرى في هذا الأمر، فإن من تأمل حاله ﷺ منذ بدء دعوته إلى أن تَوَفَّاه الحق تبارك وتعالى فإنه كان على منهاج الصبر والثقة بالله جل وعلا، فهذا صبر نبينا ﷺ، وهذا جانب من سيرته في دعوته للناس، وما كان مِن تضحيته في ذلك فحري بأهل الإسلام- دعاة كانوا أو عامة- أن يكونوا على منواله، وأن يكونوا على مسلكه، وأن يسيروا على دربه حتى يُبلغوا هذا الدين العظيم؛ قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

المبحث الخامس: ما تضمنته الآية الأخيرة من هذه السورة

ذكر الله تعالى أمورًا عِدَّة في هذه الآية الكريمة فأوَّلها قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ...﴾؛ فذكر الله أوقات قيامهم من الليل؛ فمرة كانت ثلثي الليل، وتارة نصفه، وتارة ثلثه، وأنه امتثل ذلك هو وطائفة معه من المؤمنين، والأصل أن أمته أسوة له في الأحكام؛ ففيه إشارة لعدم القدرة على قيام الليل كاملًا؛ لأنه في مشقة، فالليل في بعض أيام السنة يكون أطول من النهار وفي أيام أخرى يكون النهار أطول، وفي أيام يكون متساوي الوقت بينهما، فلما كان تحرير الوقت المأمور به مشقة على الناس

أخبر أنه سَهَّل عليهم في ذلك غاية التسهيل؛ فقال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ ...﴾، أي: يعلم مقاديرهما وما يمضي منهما ويبقى؛ لذلك خَفَّف الله تبارك وتعالى عن هذه الأمة وجوب هذا القيام، فقال: ﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ...﴾، أي: من غير تحديد بوقت معين، ولكن قوموا من الليل ما تَيَسَّر منه، وعبر عن الصلاة بالقراءة، ويؤيد ذلك ما جاء في سورة الإسراء بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فقيامك بالليل للصلاة هذا بحدِّ ذاته تربية من الله تعالى لك- أيها الموفق- لهذا القيام؛ لذلك فهل استشعرت بهذه الربوبية الخاصة، فإنها من أعظم النعم وأجلها عليك، فقَدِّم لها الشكر بفعل الطاعات واجتناب المحرمات.

وثاني أمر ذُكر في هذه الآية: هو ذِكر أهل الأعذار من هذه الأمة والأسباب المناسبة للتخفيف؛ قال تعالى: ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ...﴾، أي: أن الله تبارك وتعالى علم أن سيكون من هذه الأمة أهل أعذار من مرضى يَشق عليهم صلاة ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه؛ فليُصل المريض المتسهل عليه، ولا يكون- أيضًا- مأمورًا بالصلاة قائمًا عند مشقة ذلك، بل لو شَقَّت عليه الصلاة النافلة، فله تركها وله أجر ما كان يعمل صحيحًا؛ قال رسول الله ﷺ: «**إذا مرض العبدُ أو سافر كُتِب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**»[1]، والمسافرون في الأرض يبتغون من فضل الله في التجارة وكسب العيش، ليستغنوا عن الخلق ويتكففوا عن الناس؛ قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ...﴾: عَلِم أن منكم مسافرين يسافرون للتجارة، فالمسافر حالة التخفيف تُناسبه، ولهذا خُفِّف عنه في صلاة الفرض فأبيح له جمع الصلاتين في وقت واحد وقَصر الصلاة الرباعية، فذكر الله تبارك وتعالى في هذا الموضع تخفيفين؛ تخفيفًا للصحيح المقيم، يراعي فيه حالة نشاطه من غير أن يكلف

(١) أخرجه الإمام البخاري في **صحيحه**، كتاب (الجهاد والسير)، باب (يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة)، (٤/ ٥٧)، برقم (٢٩٩٦).

عليه تحرير الوقت، بل يتحرى الصلاة الفاضلة، وهي ثلث الليل بعد نصفه الأول، وتخفيفًا للمريض أو المسافر؛ سواء كان سفره للتجارة، أو لعبادة؛ من قتال أو جهاد، أو غير ذلك من قُربات حج أو عمرة، ونحو ذلك، فإنه- أيضًا- يراعي ما لا يُكلفه، وآخرين مشغولين بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله، والذود عن الإسلام وأهله؛ فرخص لهم وخفف عنهم قيام الليل، فلله الحمد والثناء، الذي ما جعل على هذه الأمة في الدِّين من حرج، بل سَهَّل ويَسَّر شَرعه، وراعى أحوال عباده ومصالح دينهم ودنياهم وأبدانهم، وفي هذا دليل على أن هذه الآية مكيَّة، وذلك من خلا ذِكر القتال في سبيل الله، والقتال لم يكن إلا بعد الهجرة إلى المدينة.

والأمر الثالث: أن الله تعالى قرن بين الجهاد والضرب في الأرض لطلب الرزق، وهذا مما يدل على فضل طلب الرزق، وأنه يعدل الجهاد إذا ابتغى به المسلم وجه الله والدار الآخرة؛ فهنا جعل الأمة عن صنفين الأول: يَضربون في الأرض يبتغون من فضل الله من تجارة وحرف أعمال دنيوية. والثاني: الذين يجاهدون ويقاتلون في سبيل الله، وكل من الصنفين على ثَغر ويكمل الآخر؛ فخفف الله تعالى عن هذه الأمة في قيام الليل لبعض الأسباب العارضة؛ كالمرض والتجارة والجهاد في سبيل الله، وذلك على وجه الإيجاز والتخفيف من وقته، لا على تركه بالكلية، وذلك لعظم قراءة القرآن الكريم، وقيام الليل به، فمهما كان عند الإنسان من مشاغل الدنيا، فيجب عليه أن لا ينسى أن يقرأ شيئًا من القرآن الكريم في يومه حتى ولو شيئًا يسيرًا منه، فحريٌّ بكل مسلم أن يجعل قول الله تعالى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا... ﴾ نصب عينيه ولا يحقرن من المعروف شيئًا، فاللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك.

ثم الأمر الرابع في هذه الآية: قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا.. ﴾، هنا أمر الله تعالى عباده بعبادتين عظيمتين، وهما أُمُّ العبادات وأساسها وعمادها، وهي إقامة الصلاة؛ التي لا يستقيم الدين إلا بها، ولا ترتاح نفس المؤمن إلا بأدائها، وإيتاء الزكاة التي هي برهان الإيمان، وبها

تحصل المواساة للفقراء والمساكين، ولهذا قال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ... ﴾، أي: أقيموا صلاتكم الواجبة التي فرضها الله تعالى عليكم بأركانها وشروطها ومكملاتها، وآتوا الزكاة المفروضة في أموالكم خالصًا لوجه الله من نية صادقة وتثبيت من النفس ومال طيب، ويدخل في هذا الصدقة الواجبة والمستحبة، فهذه حقوق لله تعالى متوجبة عليكم؛ فمن أدَّاها على أكمل وجه فاز ونجا، ومَن حجدها ولم يُؤدها هلك وخسر، ثم حثَّ على عموم الخير وأفعاله؛ فقال: ﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ ...﴾، فمن أقرض الله تعالى قرضًا حسنًا من الصدقات، فإن الله يجازيه على ذلك أحسن الجزاء وأوفره؛ فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، فجميع ما يُقدمه المسلم سيجده لا محال بين يديه، فهو خير حاصل له، وهو خير مما أبقى لنفسه في هذه الدنيا، فعلى المسلم الموفق أن يَعلم أن مثقال ذرة من الخير في هذه الدار يُقابله أضعاف أضعاف الدنيا وما عليها في دار الكرامة دار النعيم المقيم من اللذات والشهوات، وأن الخير والبر في هذه الدنيا أصل الخير والبر في دار القرار وأساسه؛ فلنحرص على الأوقات حتى لا تمضي في الغفلات، وعلى الأزمان قبل أن تنقضي بغير الأعمال الصالحات؛ فيا رب أغث قلوبنا بذكرك ووعظك، فلك اللهم الحمد، وإليك المشتكى، وبك المستعان والمستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك، وهذا دليل آخر على أن هذه الآية نزلت في المدينة، وذلك لأن فرض الزكاة من الأحكام، والأحكام والتشريعات نزلت في المدينة كما هو معلوم، ثم جاء في آخر السورة الأمر بالاستغفار بعد الحث على أفعال الطاعة والخير، فلهذا فائدة كبيرة، وذلك أن العبد ما يخلو من التقصير فيما أمر به، إما أن لا يفعله أصلًا، أو يفعله على وجه ناقص، فأمر بترقيع ذلك بالاستغفار، فإن العبد يُذنب آناء الليل والنهار، فمتى لم يَتغمده الله برحمته ومغفرته فإنه هالك؛ فيَنبغي على كل مسلم الاستغفار في ختام جميع أعماله الصالحة عمومًا، والإكثار منه في وقت السحر خصوصًا، فإن الاستغفار مندوب في جميع الأوقات وعند نهاية العبادات، كما جاء ذلك عند السلام من صلاة الفرض وغيرها من العبادات، فحقٌّ على الداعية أن يتدبر هذه السورة العظيمة فقد حوت زاد الطريق للسالكين درب الدعاة إلى الله تعالى، وأرشدت إلى أنفع طرق التي يجب أن تُسلك في مسيرة هذه الدعوة العظمية التي كان إمامها رسول الهدى ﷺ.

الخاتمة

أهم النتائج:

وقد خلصت من هذه الدراسة إلى عدة نتائج منها:

أولًا: إن القرآن الكريم يؤخذ على مراحل ووقفات؛ كالاستماع له وتلاوته وحفظه، وهذا ما يقوم به أغلب المسلمين.

ثانيًا: من مراحل أخذ القرآن الكريم أيضًا: التدبر والعمل، وهذا ما يقوم به خاصة المسلمين من طلبة العلم العاملين.

ثالثًا: استنباط بعض الأحكام والفوائد من خلال هذه السورة العظيمة.

رابعًا: للتدبر مقومات ومبادئ وشروط وصفات ينبغي مراعاتها والنظر إليها وتطبيقها في الواقع والاقتداء بالمعلم الأول، هذا العَلَم، وهو إمام الأنبياء والمرسلين النبي مُحَمَّد ﷺ.

المقترحات:

يجدر بطلبة العلوم الشرعية أن يكون كتاب الله عز وجل هو أول ما يعتنون به؛ حفظًا وفهمًا وتفسيرًا وتدبرًا، من أجل أن ينشروا ميزة التدبر بين الناس كافة، ولا ريب أنَّ مِن أعظم ما يُعين على فهم هذا القرآن الكريم والاستنباط منه هو تدبره وتفهمه، وذلك من خلال الرجوع إلى تفسيره ومعرفه أحكامه، فعندما يتدبر المسلمون القرآن الكريم سيعملون بتعاليمه وأحكامه، ويقفون عند حدوده، وينتهجون منهج الرسول الكريم ﷺ، ويسيرون على ما سار عليه صحابته الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم؛ فحري بأهل الاختصاص من ذوي الكفاءات العلمية بهذا المجال أن يُولوا شيئًا من جهدهم في التأليف بهذا المجال العظيم، ووضع شيء من الكتابات التي تخدم هذا الجانب المشرق لكتاب الله تبارك وتعالى.

فأسأل الله عز وجل أن يُعيننا على خدمة هذا العِلم ضمن صرح القرآن الكريم؛ ليبقى بنيانه العظيم شامخًا إلى يوم الدين، وأن نقدم لأمتنا الإسلامية شيئًا من هذا النور المبين.

كما أسأله عز وجل أن يتم نعمته علينا، ويغفر لنا ذنوبنا، التي حالت بيننا وبين كثير

من بركاته، وخطايا وشهوات ذهبت بقلوبنا عن تدبر آياته، فأرجو وآمل أن لا يَحرمنا خير ما عنده بشرِّ ما عندنا، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولا يقنط من رحمته إلا الضالون.

هذا، وأسأله عز وجل أن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم، وأن يغفر لي ولمشايخي ولأساتذتي وكل مَن أعانني، وأن يعظم لنا الأجر، ويغفر لنا الزلل؛ إنه جواد كريم، وبالإجابة جدير.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

١- أحمد الريسوني، **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي**، ط١، (بيروت، لبنان الدار العالمية للكتاب الإسلامي، د. ت).

٢- الأموي الداني: أبو عمر الأموي الداني، **البيان في عدِّ آي القرآن**، تحقيق: غانم قدوري الحمد، د. ط، (الكويت، مركز المخطوطات العربية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م).

٣- الآمدي: علي بن مُحَمَّد الآمدي؛ أبو الحسن، **الإحكام في أصول الأحكام**، تحقيق: سيد الجميلي، ط١، (بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م).

٤- البخاري: مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، المتوفى ٢٥٦هـ، **صحيح البخاري**، ط١، (بيروت، لبنان، طوق النجاة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

٥- البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي، المتوفى ٨٨٥هـ, **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب مهدي، ط١، (بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م).

٦- البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي، المتوفى ٨٨٥هـ. **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ويُسَمَّى: "المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى"، ط١، (الرياض، السعودية، مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م).

٧- ابن تيمية: أحمد عبد الحليم ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ط٣، (الرياض، السعودية، دار الوفاء، ١٤٢٦هـ).

٨- أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، بتعليق: الشيخ الألباني، ط١، (بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، د. ت).

٩- السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (المتوفى: ٩١١هـ)، **لباب النقول في أسباب النزول**، عناية: أحمد عبد الشافي، د. ط، (بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، د. ت).

١٠- السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (المتوفى: ٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، د. ط، (بيروت، لبنان، دار ابن حزم، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م).

١١- الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي الغرناطي، المعروف بالشاطبي، المتوفى ٧٩٠هـ، **الموافقات في أصول الأحكام**، تحقيق: مشهور حسن سلمان، ط١، (الدمام، السعودية، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م).

١٢- الطبري: أبو جعفر؛ مُحَمَّد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠هـ، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، (الرياض، السعودية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م).

١٣- ابن عاشور: الشيخ مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد التونسي، **التحرير والتنوير**، د. ط، (تونس، دار سحنون للنشر، ١٩٩٧م).

١٤- العِز بن عبد السلام: عز الدِّين؛ عبد العزيز بن عبد السلام، المعروف بسلطان العلماء، المتوفى ٦٦٠هـ، **قواعد الحكام في مصالح الأنام**، تعليق: عبد الرءوف سعد، د. ط، (القاهرة، مصر، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م).

١٥- القرطبي: مُحَمَّد بن أحمد بن فرج الأنصاري القرطبي، المتوفى٦٧١هـ، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: سمير النجار، ط١، (الرياض، السعودية، دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م).

١٦- مسلم بن الحجاج بن مسلم، المتوفى ٢٦١هـ، **صحيح مسلم**، ط١، (بيروت، لبنان دار إحياء التراث العربي، د. ت).

١٧- ابن منظور: مُحَمَّد بن مكرم بن علي بن منظور الإفريقي، المتوفى ٩١١هـ، **لسان العرب**، د. ط، (بيروت، لبنان، دار صادر، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م).

١٨- نور الدين بن مختار الخادمي، **الاجتهاد المقاصدي**، ط١، (قطر، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية والأوقاف بدولة قطر، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م).

١٩- وهبة الزحيلي: وهبة بن مصطفى بن مُحَمَّد الزحيلي، **الأصول العامة لوحدة الدين الحق**، نسخة المكتبة الشاملة، (د. ط، د. م، د. ن، د. ت).